

واستولى على فارس ، وكرمان ، وخوزستان (عربستان) ، ومازندران ، واستراباد^(١) . بعد ذلك توجه الشاه إسماعيل إلى جهة الشرق إلى خراسان واستولى عليها سنة (٩١٦ هـ) واستولى على مدينة مشهد . وفي نفس السنة توجه إلى مرو شمال شرق إيران وذبح أكثر من عشرة آلاف من سكانها من أهل الشنّة لأنهم رفضوا التشيع^(٢) . ثم حاول أن يمتد إلى بلاد الأوزبك سنة (٩١٨ هـ) وأرسل أحد قواده ولكنه انهزم وقُتِلَ قائده وضعفت جبهته في هذه المنطقة وهجم عليه الأوزبك وكادوا يسترجعون خراسان لكنها بقيت في قبضة الشاه إسماعيل .

دخول الشاه إسماعيل العراق واستيلاؤه على بغداد

من المعلوم للجميع أن بغداد عاصمة الدولة العباسية سقطت بيد المغول سنة (٦٥٦ هـ) ، وبعدها حكم العراق المغول وسميت دولتهم

(١) فارس : هي المنطقة التي تقابل الخليج العربي من الجهة الثانية ، وأما كرمان : فهي بين باكستان وإقليم فارس المذكور . أما خوزستان : فهي عربستان وهي معروفة شمال الخليج العربي مقابل مدينة البصرة العراقية وأشهر مدنها مصفى عبدان والحمره ، أما مازندران : فهي شمال شرقي طهران جنوب شرق بحر قزوين ، وأما استراباد : فهي شمال طهران جنوب بحر قزوين غربي مازندران أي هو سيطر على غربي وجنوب وشمال إيران الحالية ، مبتدئاً دولته من إقليم أذربيجان شمال إيران .

(٢) « إيران دراسة عامة » د . محمد وصفي أبو مغلي (ص ٢٤٧) .

(الإليخانية) إلى أن تسلّم الجلائريون ثم دول التركمان «قراقونيلو» ثم «آق قونيلو» التي بدأ حكمها منذ سنة (٨٠٦ هـ) وكان آخر حكامها (سلطان مراد) الذي حكم سنة (٩٠٣ هـ) وفي سنة (٩١٤ هـ) أراد الشاه إسماعيل احتلال بغداد فأرسل قائده (حسين بك لاله) وانهمز والي بغداد التركماني «باريك»، ويومها استبشر «نقيب النجف» المدعو (محمد كمونة) بعد أن كان والي بغداد «باريك» قد حبسه لأنه كان ينتظر قدوم جيش الشاه، ويؤمل ويخدع أهالي بغداد والعراق بأن الشاه إسماعيل سلطان عادل، والناس (في بغداد وبقية العراق) في اضطراب وقلة أمان تبحث عمّن يوفّر لهم ذلك.

لما دخل (حسين بك لاله) بغداد دون قتال أخرج (محمد كمونة) من السجن ورحّب به وعظمه، وذهبا هو والوالي إلى الشاه إسماعيل في إيران ليشرّوه بفتح بغداد^(١).

وقدم الشاه إسماعيل بغداد وكرم (محمد كمونه) وأعلى مقامه ثم زار مدينتي كربلاء والنجف وأكرم أهلها وعمّرها بالذهب والفرش

(١) هكذا حال الشيعة في العراق وبغداد قديماً يستقبلون الفرس الشيعة، وهذا ما حصل عندما قام محمد باقر الصدر بمراسلة خميني بعد ثورته سنة ١٩٧٩م وأخبره أنه ينتظر قدومه إلى بغداد، وظل عند شيعة العراق ولاء للإيرانيين واضح في كل العصور، وفي يومنا هذا تجد كل شيعة العراق والبحرين ولبنان والسعودية، كل هؤلاء ولاؤهم لإيران، هذا الأمر المفصوح أدى بالرئيس المصري حسني مبارك أن يقول: إن ولاء الشيعة في البلاد العربية لإيران. وهو لم يذكر إلا ظاهرة لا يستطيع أحد إنكارها.

والسجاد الثمين . ثم أدب بعض عشائر الجنوب (١) .

هذه هي خلاصة تحركاته في العراق .

وعودة إلى ما فعله الشاه إسماعيل ببغداد وأهلها ، فأهل بغداد (الشنّة) لم يقاوموا الشاه ؛ لأن (محمد كموه) أخبرهم بعدله وكان لاضطراب الأوضاع في زمن « آق قونيلو » دافعا لأهل بغداد كي يتمنوا ظهور حاكم جديد ينقذهم مما هم فيه ، ولكن الشاه إسماعيل أمر قائده (حسين بك لاله) بتهديم مدينة بغداد وقتل أهل الشنّة سيما الصلحاء منهم ، حتى توجه إلى مقابر أهل الشنّة ونش قبور الموتى وأحرق عظامهم .

وبدأ يعذب أهل الشنّة ويذيقهم سوء العذاب بأيديهم أو يسلمهم للشيعة ليسلبوا أموالهم ثم يقتلونهم محاولا أن يحولهم للتشيع ، وهدم مسجد أبي حنيفة النعمان في مدينة الأعظمية ، ونكل ونش قبره ، وهدم المدارس العلمية للحنفية وهدم كثيراً من المساجد (٢) وقتل كل

(١) كان أكثر عشائر الجنوب العراقي شنةً آنذاك إلا أهالي مدينتي كربلاء والنجف وبعض أهالي مدينة الحلة ومناطق متفرقة ، وأكثر عشائر الجنوب العراقي ووسطه شنةً على مذهب المالكية والحنفية والشافعية ، ولنا بحثٌ نسأل الله أن يسر نشره في (تاريخ تشيع العشائر العراقية العربية) والذي واكب ظهور الدولة الصفوية وما بعدها .

(٢) انظر : « تاريخ الأعظمية » ، وليد الأعظمي (١١٣) ، والشيعة في كل أوقاتهم يكرهون الشنة ويكفرونهم ويلعنون بشكل خاص أبي حنيفة النعمان ، وما أشبه الليلة بالبارحة فهذا هو اليوم « جيش المهدي » و « قوات بدر » وبالاستعانة بحكومة الجعفري والمالكي يقصفون مسجد أبي حنيفة في مدينة الأعظمية في بغداد بقذائف الهاون .

من ينتسب لذرية خالد بن الوليد رضي الله عنه في بغداد لمجرد أنهم من نَسَبِهِ ، وقتلهم قِتْلَةً قَاسِيَةً (١) .

وقد أُرِخَ الشيعة في ذلك الزمان لهذه الحادثة حتى قال أحد مورخيه الممدعو ابن شدقم في كتابه « تحفة الأزهار وزلال الأنهار » وقد طبع في إيران في أربع مجلدات « فَتَحَ بغدادَ وَفَعَلَ بأهلها النواصب ذوي العناد ما لم يسمع بمثله قط في سائر الدهور بأشد أنواع العذاب حتى نَبَشَ موتاهم من القبور » .

هكذا يسمي أهل الشنَّة النواصب ، بمجرد أنهم لا يؤمنون بعقائد الشيعة ، فهم نواصب يستحقون القتل (٢) .

(١) كُتِبَ الشيعة منذ القديم تحمل حقداً خاصاً لخالد بن الوليد (سيف الله المسلول) ، وقد ردَّ ابن تيمية في « منهاج الشنَّة » شبهاتهم حوله ، ويبدو أن ثقافة الشاه إسماعيل الشيعة جيدة فنقد كل حقه بقتل كل من ينتسب لهذا الصحابي الجليل والقائد العظيم سيف الله المسلول ، وقيل أيام قام الشيعة بمثل ذلك ؛ فنجروا في البصرة أثراً تاريخياً يعود للزبير بن العوام رضي الله عنه ابن صفيية عمه رسول الله ﷺ - واليوم عاد أذئاب الشيعة بمصر للحملة على خالد بن الوليد - وبعد ذلك بمدة فجروا ضريح طلحة بن عبيد الله الصحابي الجليل .

(٢) للشيعة فنٌّ عجيب في تمخير المصطلحات لتأجيج الرأي العام الشيعي ضد أهل الشنَّة . فانظر هنا إلى قوله « النواصب » فهذا مصطلح أطلقه أهل الشنَّة على فرقة برزت في الشام في القرن الثاني والثالث للهجرة تُبَغِضُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقد انقرضت ولا يوجد مسلم سُني يُبَغِضُ علياً في يومنا هذا ، بل حب علي سنَّة وبغضه فسق وبدعة ، هذا هو معتقد كل أهل الشنَّة . أما الشيعة فيعنون بـ « النواصب » =

ولم تكن أفكار الشاه إسماعيل من عنده بل ساعده على ذلك علماء الشيعة لأنه استقطب العلماء من كل مكان من لبنان والتحف وغيره من المناطق ، وهم من شارك بتأجيل الحقد الدفين على أهل السنة ، بعبارة أصح أين ما وجدت الطائفية فستجد علماء الدين الشيعة وراءها . وقد فرّ كثير من سنة بغداد من المدينة للنجاة وممن هرب الأسرة الكيلانية - بعد أن خرّب الشاه إسماعيل قبر عبد القادر - إلى الشام ومصر وأخبروا العالم الإسلامي ما فعل الصفويون الشيعة ببغداد وأهلها^(١) .

وصلت أخبار المذبحة العظيمة لأهل السنة إلى اسماع الدولة العثمانية في الأناضول ، إضافة إلى أخباره السابقة عن تشيع أهل السنة

= كل من لم يؤمن بأن علياً ولياً منصّب من الله بعد رسول الله ، وهذا ما لم يؤمن به أهل السنة ، وهذا فأهل السنة كلهم نواصب . والشيعة كتبهم مليئة بتكفير النواصب وأنهم شرّ من اليهود والتصارى ، ويجب قتلهم ، وهذا ما حصل قديماً ، ويحصل اليوم . وارجع إلى الصحف والمجلات الشيعة في العراق وإلى فتواهم الفضائية كفتاة « الفرات » التابعة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية بقيادة عبد العزيز الحكيم ، حيث يصف أهل السنة بـ « النواصب » حتى يستحق قتلهم شرعاً « شرع الشيعة » . وقد ألف صديقنا الفاضل عبد الملك بن عبد الرحمن الشافعي كتاباً قيماً سماه « موقف الشيعة الإمامية من باقي فرق المسلمين » طبع حديثاً بمصر بمكتبة الرضوان سنة ٢٠١٥م ضمنه فصلاً رائعاً صفحة ٣٠٧ بعنوان : « عرض لأبرز أساليب الإمامية » .

(١) أخبار أفعال الشاه إسماعيل ببغداد مشورة في كتب التاريخ الشّيئي والشيخي وغيرهما ، وانظر : « العراق بين احتلالين » للمؤرخ عباس العزاوي ، و « أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث » ، ستيفن لونكريك وغيرهما .

في إيران وقتل الآلاف المؤلّفة ، أضف إلى ذلك جسارة الشاه إسماعيل إلى إرسال دعوته إلى داخل الدولة العثمانية ؛ لذا اجتمع السلطان العثماني سليم الأول في عام (١٥١٤م / ٩٢٠هـ) برجال الدولة وقضايتها وعلمائها ورجال السياسة ، وقرروا أن الدولة الصفوية تمثل خطراً على العالم الإسلامي بشكل عام ؛ وعلى الدولة العثمانية بشكل خاص ، فقرر السلطان إعلان الجهاد المقدس ضد هذه الدولة ، واستبقها بالأعمال الآتية :

١- أرسل السلطان العثماني سليم رسائل للشاه إسماعيل الصفوي بلهجة حادة .

٢- طهر بلاده (تركيا) من الشيعة التابعين للشاه الصفوي ؛ لأنهم أصبحوا يمثلون طابوراً خامساً للشاه .

ولما لم يستجب الشاه إسماعيل لدعوة السلطان سليم الأول بالتسليم قرر السلطان السير بالجيش بقيادته مستعيناً ببقايا أسرة « آق قونيلو »^(١) ، عندما سمع الشاه إسماعيل بذلك لجأ إلى حيلة لتأخير الحرب إلى فصل الشتاء ؛ كي يهلك الجيش العثماني جوعاً وبرداً ولكن السلطان مراد استمرّ بزحفه حتى أحسّ الشاه إسماعيل بالخطر فطلب الهدنة ولكن السلطان

(١) هذه أسرة شيعية عريقة تنتسب لآل البيت ، وقد مر كيف خان جدهم « محمد كمونة » البلاد ، وكيف لاقى مصيره ، ويعرف أهل بغداد أصولهم ولا ينخدعوا بأصول عوائل كان أجدادهم خونة للأمة ، كما فعل اليوم « أحمد الجليبي » وغيره من مهد على احتلال العراق وأرسل معلومات مزورة عن بلده كي يحتلوه .

استمر في الزحف إلى صحراء جالديران شمال تبريز حتى وصلها سنة (١١٥١ هـ / ١٧٦٤ م) وسحق الجيش الصفوي الشيعي على أرضه ، وفرّ الشاه إسماعيل تاركاً كل أمواله ، وأسرت زوجته ، وقُتِل الخائن « محمد كمنه » السابق ذكُره والذي ذهب مع الشاه إلى تبريز وهكذا هزم الشاه إسماعيل واهتزت صورته أمام جيشه القزلباشية كما سبق ذكُره ولكن بقيت بغداد تحت احتلال الصفويين .

شعر الشاه إسماعيل بالضعف وشرع بالبحث عن صديق ليتعاون معه ضد العثمانيين ، وكان للبرتغاليين الصولة العظمى في بلاد العرب ، وخاصة طموحهم للاستيلاء على منطقة الخليج العربي ، بواسطة أسطولهم في بحر العرب والخليج العربي فاستطاع قائدهم « البوكيرك » الاستيلاء على مضيق هرمز .

كل هذه الأمور أغرت الشاه إسماعيل لإجراء اتفاقيات وأحلاف مع البرتغاليين ضد الدولة العثمانية ، وقد كان لأمه « مارتا » وجدته لأمه « تيودورا » اليونانية النصرانية تأثيراً واضحاً في ذلك الحلف (١) .
وستنقل نص رسالة أرسلها « البوكيرك » إلى الشاه إسماعيل الصفوي جاء فيها :

(١) تأثير زواج الخلفاء والقيادات الإسلامية من النصرانيات على الأمة واضح ، وبهذه المناسبة نذكر أن جدة محمد باقر الحكيم وأخوه عبد العزيز الحكيم يقال أنها (بيرلندية أو رومانية) ، و قيل يهودية وقيل نصرانية ، والمسألة تحتاج إلى تحرير وتحقيق .

« إنني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك^(١) ، وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك في الهند ، وإذا أردت أن تنقّض على بلاد العرب أو تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الأحمر ، أمام جدة أو في عدن أو في البحرين أو القطيف أو البصرة ، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسأنفذ له كل ما يريد^(٢) .

وفعلاً تمّ التحالف مع النصارى البرتغاليين وأقرّهم الشاه إسماعيل باستيلائهم على هرمز مقابل مساعدة الشاه على احتلال البحرين والقطيف . كما اتفق على مشروع لتقسيم المشرق العربي ، بأن يحتلّ الصفويون مصر والبرتغاليون فلسطين^(٣) .

ولكن هذا الحلم لم يتحقق - ولله الحمد - والفضل بعد الله في

(١) نفس ما تفعله جمهورية إيران الإسلامية حيث تحترم غير المسلمين (المجوس ، اليهود ، النصارى) ، وتقيم لهم المعابد لإهل الشنّة في إيران فهم الأسوأ حالاً والأقلّ مساجد ومع هذا تنادي بالتقريب مع الشنّة خارج إيران .

(٢) « قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين » (ص ٦٣) ، د . زكريا إبراهيم يومي ، (١٩٩١/١٤١١) ، عالم المعرفة .

(٣) الدولة الصفوية : هي أول دولة شيعية إمامية كبيرة النفوذ ، إذ أن دول الشيعة السابقة ؛ إما شيعية إسماعيلية كالفاطميين ، أو شيعية زيدية (جارودية) كالزويديين ، وليلاحظ القارئ أن الدولة الصفوية هي أول دولة شيعية فارسية انفتحت على فكرة بيع فلسطين للغرب .

ذلك للعثمانيين^(١) ؛ لأن الدولة العثمانية كشفت المراسلات بين الدولة الصفوية والمماليك للتآمر لاحتلال مصر ، فسارعت لدخول مصر وقضت على المماليك رغم أن هذا الفتح لمصر هو أحد أسباب تأخير السلطان سليم عن القضاء على الشاه إسماعيل ودولته^(٢) ، كما أن البرتغاليين سيطروا على البحر العربي والخليج العربي . عاش الشاه إسماعيل في همدان ثم عاد إلى تبريز بعد وفاة السلطان العثماني سنة (٩٢٦هـ/١٥٢٠م) ولكنه هلك سنة (٩٣٠هـ/١٥٢٤م) .

مستحدثات العصر الصفوي

استحدث الشاه إسماعيل بدعاً في المذهب الشيعي أصبحت فيما بعد من المسلّمات عند الشيعة ، نذكر منها :

١- السبّ المقترن بالاضطهاد الطائفي ؛ فقد اتخذ من سبّ الخلفاء الراشدين الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين ، وأمر بأن يعلن السبّ في الشوارع والأسواق وعلى المنابر^(٣) . والسبّ والقذف

(١) « قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين » (ص ٦٣) .

(٢) « الشعوب الإسلامية » د . عبد العزيز سليمان نوار ، دار النهضة العربية ، ١٩٩١ م .

(٣) كل الشيعة اليوم ، سواء في إيران والعراق ولبنان والبحرين والسعودية والكويت وباكستان وغيرها من البلاد التي يتواجد فيها الشيعة ، كلهم يسبون ويولعون في سب الخلفاء الثلاثة وبقية الصحابة وأمهات المؤمنين . فإذا تمكنوا كما فعلوا في العراق فإنهم يجبرون من يعذبونهم من أهل السنة على السب ، وهذا ما يفعل في الدوائر الأمنية في إيران مع سنة إيران ، وفي العراق اليوم اعترف أحد الشيعة العلمانيين أن فيلق بدر =